

المحور الأول . مدخل مفاهيمي
المحاضرة الأولى . ماهية الهوية

الأهداف التدريسية.

- التعرف إلى مفهوم الهوية من منظور علمي،
- التطرق إلى خصوصية الهوية من حيث حصر أهم أبعادها المرتبطة بالحقل الفلسفي والمعرفي والسياسي والتاريخي.

خطة المحاضرة

- مفهوم الهوية
- أنواعها
- مكوناتها

1. الهوية (Identity):

يعد مفهوم الهوية من المفاهيم التي أثارت جدلا واسعا في الفكر السياسي المعاصر بين التيارات الفكرية ، و تحديد مفهوم موحد لها أصبح من أهم القضايا التي يجب أن يفتح حولها نقاش جدي وفعال في الوقت الراهن، سواء على المستوى السياسي أو على المستوى الثقافي والاجتماعي، فالهوية هي الوعي بالذات الحضارية، والاعتزاز بها والإعلان عنها والعمل على تطويرها وتمكينها في كافة مجالات الحياة، في انجازات وإضافات حضارية متجددة، لخدمة وتطوير الحياة الإنسانية .

تعد الهوية أساس صناعة الحضارة الإنسانية وتطويرها، بداية بالوعي بالذات الخاصة وإمكانياتها المتاحة والمتوقعة، ثم استشراف المكانة المستقبلية، والمشاركة في فرض واقع حضاري جديد، وبالتالي فهي تطوير للمنتجات الحضارية للشعوب بتحديد البوصلة والوحدة والاحتشاد الذي يحقق المصالح العليا.

المعنى اللغوي :

إن مفهوم الهوية من ناحية الدلالة اللغوية فهي كلمة مركبة من ضمير الغائب "هو" مضاف إليه ياء النسبة لتدل الكلمة على ماهية الشخص أو الشيء المعني، كما هو في الواقع بخصائصه ومميزاته التي يعرف بها، ولا يمكن معرفة هوية أي إنسان من دون الصفات التي تخصه دون سواه.

وعند تتبع معاني اللفظ في الأدبيات المعاصرة نجد أن كلمة هوية تستعمل لأداء معنى كلمة (Identity-Identité) في اللغتين الانجليزية والفرنسية على التوالي والتي تعبر عن معنى المطابقة أي مطابقة الشيء لنفسه أو مطابقة لمثله .

المعنى الاصطلاحي :

تعاني المفاهيم في العلوم الإنسانية بصورة عامة والعلوم الاجتماعية والسياسية بصورة خاصة من إشكالية في التعريف وتحديد المعنى باختلاف الزمان والمكان أو اختلاف المنطلقات الفكرية التي تتناول هذا المفهوم أو ذاك أو المجال المعرفي والعلمي في البحث والدراسة ،ومفهوم الهوية كما يقول هنتنغتون " لا يستغنى عنه وفي الوقت نفسه غير واضح "وعلى الرغم من البساطة الظاهرية لهذا المفهوم ،فانه وعلى خلاف ذلك يتضمن درجة عالية من الصعوبة والتعقيد ،وذلك لأنه بالغ التنوع في دلالاته واصطلاحاته ،وهناك آراء تذهب إلى أن مفهوم الهوية على قدر كبير من الأهمية ،والذي أثار ولا يزال جدلا واسعا في صفوف المثقفين والسياسة ،ليس فقط فيما يخص بتعريف المفهوم بل حتى فيما يتعلق بوجوده ،لذلك نتناول موضوع الهوية بالبحث والدراسة في بعض الحقول المعرفية ومنها :

في الفلسفة وتعني الهوية الماهية أي جوهر الشيء وحقيقته ،ومنه جاء التعريف المنطقي في الفلسفة القديمة للحدود بالماهية لا بالعرض ،ويختلف معنى الهوية من فيلسوف إلى آخر ومن مرحلة تاريخية إلى أخرى ،يختلف باختلاف الأنساق الفلسفية والفكرية والإيديولوجية ويتكون تبعا للسياقات تاريخية التي عرفها الفكر الإنساني .

وفي علم الاجتماع ترتبط الهوية بالمجتمع وتتحدد به وهي ظاهرة اجتماعية تحدد ماهية المجتمع ليدل على انه تركيبية بشرية مكوناتها كثيرة متداخلة ومتشابكة ،تركيبية متطورة باستمرار ،فيها الثابت وفيها المتحول ،وهوية المجتمع وهوية الفرد جزء منه تتحدد بالعناصر الاجتماعية الثابتة في المجتمع ،والتي لا يوجد من دونها،وهي عناصر اجتماعية ،سياسية ،اقتصادية وثقافية وغيرها .

أما في السياسة يختلف مفهوم الهوية من اتجاه إلى آخر وما أكثر الاتجاهات السياسية ،وبالتالي تتعدد وتنوع الهويات بحسب مقوماتها التي هي مقومات الأمة ،فتعدد الهويات وتباين بتعدد وتباين اللغات والثقافات والجغرافيا والتاريخ ،قد تتحدد الهوية بمقوم واحد وقد تتحدد بأكثر من مقوم ،فالأمة الإسلامية هويتها تقوم على الدين الإسلامي ،وداخل الأمة الإسلامية توجد هويات كثيرة مثل الهوية السنية ،الشيوعية ،الكردية وغيرها ،ففي الغرب

تحدد الهوية بالوطن واللغة فعرفت أوروبا الهوية الفرنسية والهوية الانجليزية والهوية الاسبانية وغيرها.

وفي علم النفس ترتبط الهوية بالشخصية التي تتحدد بجانبين أساسيين ، جانب يتميز بالكثرة والتغير ويخص مكونات الشخصية النفسية والاجتماعية والبيولوجية ، وكل ما هو قابل للزيادة والنقصان ، وجانب يتميز بالوحدة والثبات ويخص الأنا والذات التي تتغير ولا تزول.

وانطلاقا مما سبق ، فان مفهوم الهوية هو مفهوم إشكالي ، لان للهوية أبعادا شائكة ومتداخلة فيما بينها تتصل بالحقل الفلسفي والمعرفي والسياسي والتاريخي ، علاوة على عوامل أخرى تتفاعل مع الهوية كاللغة والإيديولوجية والتراث والدين ، وهذه الإشكالية تزداد في مرحلة العولمة المعاصرة التي فرضت على هذا العالم ألوانا متنوعة من التحولات والمتغيرات الكمية والنوعية المتسارعة ، وبالتالي فان فهم واستيعاب مفهوم الهوية أو تعريفها بصورة محددة يختلف من باحث لآخر ، وهذا ما يضعنا أمام عدة تعريفات ، تختلف فيما بينها ، إلا أنها تجتمع في الإطار العام على أن الهوية :هي تعايش واتفق مجموعة من البشر على مجموعة من المعتقدات والأفكار والمفاهيم والعادات والتقاليد التي تحكم وتنظم نمط حياتهم اليومي ، فتميزهم عن بقية من حولهم ، فهم يعتقدون بمنظومة معينة من القيم والشعائر والمفاهيم ، ويمارسونها في حياتهم اليومية البيئية والخارجية مع الغير ويعتقدون بقيمة ومكانة أشخاص معينين يمثلون أعلاما سياسية وعلمية ودينية وثقافية... الخ

أبعاد ومصادر الهوية :

1. الدين واللغة : يعد الدين من المصادر الهامة في بلورة الهوية فكثير من المجتمعات تتحصن به لتجنب التغيرات المتسارعة ، والتي لا تستطيع هذه المجتمعات مواكبتها والانخراط فيها ، أما اللغة بالإضافة إلى دورها المهم كأداة للتخاطب ونقل المعرفة ، فهناك اللغة الرسمية المعتمدة للمجتمع ، وبقية اللغات الأخرى التي يتحدث بها المجتمع والتي نص عليها الدستور .

2. التاريخ والثقافة : التاريخ ويشتمل على الأصول التاريخية ، والإحداث والآثار التاريخية ، بالإضافة إلى الدين واللغة والتاريخ ، تعد الثقافة الجزء المكتسب في بنية الهوية والأكثر ديناميكية ، نتيجة العضوية في المجتمع ، وتعتبر درجة انتقاء الفرد من الموروث الثقافي بواسطة العمليات الاجتماعية محددًا جوهريا وأساسيا للهوية.

أما صامويل هنتغتون ركز بدره على أهم المصادر والسمات التي تستقي منها الهوية حياتها وحيويتها فقد حددها في مجموعة من السمات نذكر منها :

* السمات الشخصية. وتشمل العمر السلالة الجنس، القرابة (قرابة الدم).

* السمات الثقافية. العشيرة القبيلة، اللغة، الدين، الحضارة.

* السمات الإقليمية. الجوار، القرابة، البلدة، المدينة، الإقليم، المنطقة.

* السمات السياسية. القائد، الزمرة، الجماعة ذات مصلحة معينة، الإيديولوجية، الدولة.

* السمات الاقتصادية. الوظيفة، مجموعة العمال، القطاع الاقتصادي، الطبقة.

* السمات الاجتماعية. الفريق، النادي، المكانة الاجتماعية.

إن هاته المصادر المتنوعة قد تكون هي بتفاعلاتها مصادر هوية الفرد البارزة والتي قد يستمد الفرد هويته من احدها، فمثلا قد تكون الأسرة هي مصدر هوية الفرد، أو الأحزاب السياسية، أو منظمات المجتمع المدني أو جماعة الرفقاء.

وهناك من يصنف الهوية إلى ثلاثة مستويات أيضا ولكن بأسلوب آخر وهي :

أ. **المستوى الفردي:** هو شعور الفرد بالانتماء إلى الجماعة في إطار إنساني أكبر يشاركه في منظومة من القيم والمشاعر والاتجاهات، والهوية بهذا المعنى حقيقة فردية نفسية ترتبط بالثقافة السائدة وعملية التنشئة الاجتماعية، وبرز هذا المستوى بصورة أوضح مع بروز النزعة الفردانية.

ب. **المستوى الجمعي:** وتمثل أو تجسد الهوية في شكل تنظيمات وأحزاب وهيئات شعبية ذات طابع تطوعي واختياري هذا إلى جانب الهوية القومية التي تتصدر ككل هوية قومية من منابع كيان الإنسان من حيث هو فرد في جماعة يشاركها لغتها وتقاليدها وآمالها وآلامها، وهناك أيضا الهوية الدينية والهوية الأممية في هذا المستوى.

ج. **المستوى المؤسسي والقانوني:** أو مايسمى (مأسسة الهوية)، أي خضوعها لمؤسسة، سواء كانت صغيرة أو متوسطة أو كبيرة، مثلاً (نادي رياضي، حزب سياسي أو دولة معينة، أو منظمات دولية أو شركات متعددة الجنسيات).